

الجفء في ماضيه وحاضره

لحضرة صاحب 'لعزة محمود حسيب بك

مدير البحيرة

الاحتذاء قديم والجفء حادث . فقد أجمع الباحثون من علماء التاريخ على أن الاحتذاء وجد منذ العصور الأولى وتطور مع مراحل الزى من ابتداء مرحلة اكتساء الإنسان الى مرحلة الثمن في الزى (عصر المودة) وهي المرحلة الحالية . ويؤيد قدمه كتاب الله اذ قال تعالى مخاطبا موسى عليه السلام " فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى " فقبل لأنه في انودى الطاهر فهو في أمان من الجراثيم والحشرات ، وقيل إن النعل كانت من جلد غير مدبوغ أى لم تم طهارته . وفي ذلك ما يحقق وجود الجداء في عصر موسى كما ثبت وجوده في إيون ذلك العهد عند الأشوريين . كذلك ثبت أن الإنسان في العصر البرونزى اتخذ قطعاً من الحجر مناسبة لشكل القدم يضعها تحت قدمه ويربطها بألياف من الشجر ثم فكر بعد ذلك في اتخاذ الجداء من حشب التخييل وأليافه ومن اغاب حتى صنعه من جلد الحيوان وعندئذ بدأ الإنسان في أن يأخذ الجداء شكل القدم فأضاف ايه جوانب وجعل الظاهر 'قدم غطاء حتى أصبح كشكل القدم الذي اتخذه قدماء المنصرين ولا يزال بلاّن

ولم يتكر كعب الجداء إلا في القرن السادس عشر وكان ذلك في فرنسا وصنع بأشكال متعددة ومختلفة سمي أحدها بكعب لويس الخامس عشر كما سمي به طرار الأناث وتغاثوا في ارتفاعه بعد ذلك وخاصة للسيدات حتى وقتنا هذا .

ولهذه المناسبة أذكر أن بعض الباحثين في هذا الشأن أكدوا الضرر من ارتفاع الكعب لأنه كلما زاد ارتفاعه أمال الجسم إلى الأمام فيضطر صاحبه إلى بذل مجهود كبير لتستقيم قامته ، وهذا المجهود يوازي ثقلاً مخصوصاً يزداد نسبياً بارتفاع الكعب كالنسبة بين السير العادى والصعود . فإذا كان الإنسان من قديم العهود قد عمد بقطرته إلى الاحتذاء حماية لقدمه من وعورة 'صحرا وأذى الحشرات واصطدامها بالخصى والأشواك فولى به أن يحتذى وهو في عهد الحضارة ولنور وقد عرف حقيقة الجراثيم والأمراض .

ونقد لبس المنصرين اتقدماء الجداء في كل العصور وإذا رجعنا إلى نصف قرن مضى نوجدنا أن نسبة الجفء في مصر كانت قليلة جداً توازى نسبة الاحتذاء اليوم ، فكان الكل يحتذى أحذية متماثلة لعممه ، وكان للجبل والحراث وغرهما أحذية خاصة تلائم عمهم وتصح

من الجلد المدبوع بالملح والقرض وتخاط بنفس الجلد وتصنع في القرى وكان للرجال والنساء والأولاد أحذية مختلفة الأشكال .

لكن الحال قد تبدلت الآن حتى أصبح الحفاء غالبا . ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة لا ينسج المقام لذكرها كلها فإكتفى بأن ذكر منها التطورات الاجتماعية والصناعية وظهور الأحذية الحديثة والجلود ذات الألوان المختلفة التي تغالى المنتجون في صنعها حتى صنعت من جلد الثعابين ، فتأقت نفس الفقير والملاح ومتوسط الحال إلى الاستئصال طفرة واحدة وإلى اقتناء تلك الأحذية الثمينة التي ليس في مقدوره اشتراؤها ولا في مصلحته استعمالها ؛ فلا هو وفق إلى شرائها ولا هو بقى على حاله مكتفيا بمخائمه البسيط ، وكان أولى به أن يتدرج بدل أن يطهر هذه الطفرة . لذلك انتشر الحفاء وأصبح عادة للفقير ورأده الكسل استمروا فيها .

وهي عادة مزرية تدل في مظهرها على البؤس والفقير وما إخالها في بلادنا ترجع إلى الفقر ولا إلى طبيعة العمل . فمن جهة الفقر يستطيع أي فرد من بساط الطمقات أن يقضى حذاء إذا اقتصد شيئا مما يتفقه على نفسه يوميا في المكيفات والكاليات التي أصبحت شائعة وصارة به لاسيما إذا كانت تستنزف معظم كسبه . وكثيرا ما نرى وبخاصة في الريف بعض النساء والرجال يلبسون ملابس مميثة وهم حفاة الأقدام وبعضهم يتأبطه دون أن يلبسه .

وأما من جهة طبيعة العمل فقد ثبت طبييا وعمليا أن الأمر على العكس . فلاحتداء يمنع الضرر عن القدم من جراء تعرضها للجراثيم والحصى والأحجار وبقايا الحرارة والبرودة ولا يعوق الحذاء صاحبه عن العمل فلا ترق قدمه ولا يقوى على العمل لاستعماله الأحذية التي لا تلائم . ولا توجد تلك المادة في البلاد الأخرى حتى التي تليق في الثروة والمدنية فهي عادة تحدش كرامة الأمة مع ما فيها من ضرر صحى يحتم علينا الإقلاع عنها كما يأمرها الدين .

ورب قائل يقول إن الفلاح في حاجة إلى إصلاحات كثيرة من أهمها رفع مستوى معيشته وتحسين تغذيته وإصلاح مسكنه ، وأنا أرى أن الحفاء في مصاف هذه الحاجيات إن لم يكن في مقدمتها وربما أدى الاحتذاء إلى الوصول إلى كثير من الأذى إذ أعنى الشخص بظافة قدميه أصبحت له طبيعة ثانية تحتم عليه العناية بـ في ملابسه وجسمه . ولقد ثبت أنه إذا انقطعت حرانيم الأمرض الناشئة عن الحفاء لاثمرت في جسم الإنسان أية تغذية لأن تلك الحرانيم تمتص معظم الغذاء . وفي رأي أن الوصول إلى هذه الغاية المشدودة واتزاع هذه العادة الضارة المزرية لا يكونان إلا بتوفير المسكن وتيسير السبيل إلى الحصول على الأحذية وحص من في مقدوره الاحتذاء على الإقلاع عن عادة الحفاء .

أما المال فيجب على كل غنى أن يبذل في هذا السبيل كل ما يمكنه وأن يحود للمل بنفس طبيعة كريمة ، فالبر ببارك المـ والعطف على الفقير - - ب إلى إصلاح البلاد .

وأما حث المقتدر على الاحتذاء فإني أرى من اختياراتى الإدارية أن السواد الأعظم من الأهلين وخصوصا الفلاح -يند بطبعه لا يميل إلى عمل كل ما يؤمر به فلا ينفيد معه التشريع وخصوصا في مثل هذا الإصلاح الاجتماعى . فالقوانين كثيرة ومنها ما يمس صميم مصلحته وثروته وصحته ومع ذلك نراه يخالفها .

وأذكر على سبيل المثال أنى وجدت منشورات لوزارة الداخلية من سنة ١٨٨٠ أى منذ ستين سنة مضت خاصة بالتنبيه إلى النهى عن عادة إلقاء الأحجار على القطارات والنهى عن إطلاق الأعيرة النارية داخل المساكن في الأفراح وبالرغم من تكرر تلك المنشورات لاتزال هذه العادة موجودة لآن مع مخالفتها للقوانين .

وأرى أنه لا سبيل للتشريع خصوصا قبل أن تهب الظروف لتوفير جميع المعدات اللازمة وتيسير الحصول على الأحدثية حتى لا يكون لأحد عذر بعد ذلك . قال الله تعالى " وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا " . وليس هذا كل شئء في الوصول إلى مكاشفة الحفاء ، فقد يسودنا الاعتقاد بأن المشروعات في مصر لا تنجح إلا إذا تولتها الحكومة . وهذه فكرة يوجب أن تتغير ويجب أن يكون الشعب بنفسه عاملا على الإصلاح الاجتماعى حاضيا على التبرع له متوثبا إلى تنفيذ مسارعا إلى تعميمه ، وأن يقوم أفراد الشعب بإجراءات عملية فيوجه ويبدل النصح بشتى الطرق يتضافر كل قادر بماله أو بجاحه أو بقلمه أو بأى وسيلة لتساهمة بجهود مستمر مخلص .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نصر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره " وقال " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا " .

وأرى أن يقوم رجال الإدارة بأكبر مجهود مستطاع في هذا السبيل فهم محتكون بكل الهيئات وذلك يمكنهم من القيام بهذا العبء ، إذ أرى أن الحاكم الإدارى يجب أن يعتبر نفسه خادما للجميع ، في عنقه مصلحة كل من وكل بخدمتهم وان يستغل نفوذه ومحبة الأهلين له وتقديرهم لخدمته ووثوقهم به ليعمل على راحتهم وحثهم على ما ينفعهم وأن ينصب نفسه مصلحا اجتماعيا ومرشدا إلى وجوه الخير والنفع ومبتكرا لأساليب الارتقاء بالأهلين ومعاوننا لهم على تقوية الروابط بين أغنيائهم وفقرائهم حتى يسود التعاون الاجتماعى فيخفف الإنسان آلام أخيه الإنسان . وبذا ينفذ الحاكم مهمته ويؤدى أمانته، وهكذا يجب أن يكون شعور جميع رجال الإدارة كل في دائرة عمله وكل بأسلوبه وطريقته وكل جهة حسب ظروفها والممول في ذلك على المثابرة والجد وكل مجهود مخلص في هذا السبيل له فائدته وثمرته ما